النـزوح وآثاره في الاسـرة
دراسة ميدانية في مدينة الموصل

م.د.ابتهال عبد الجواد كاظم * م.ريم ايوب محمد **

تاريخ استلام البحث ٢٠١٩/١/٩
تاريخ قبول النشر ٢٠١٩/٢/٢٨

ملخص البحث:

تعرضت العلاقات الأسرية إلى اضطراب كبير نتيجة للنزوح فكانت أغلب العوائل التي نزحت لم تجد لها مأوى، فما بين أسر بقت في مخيمات النزوح واخرى لجأت إلى البقاء في بيوت الأهل والأقارب وما بين ثالثة كانت مضطرة إلى السكن في المساكن غير المكتملة (الهياكل) أو بعض اجزاء من ابنية دوائر الدولة غير المدمرة بالكامل، واضطرت إلى ان تتحمل رغماً عنها الظروف الصعبة كالفقر وغياب المُعيل وشتات وضياع بعض أفرادها في ظل انعدام كامل للأمن، ان تواجد أكثر من أسرة في المسكن خلق الكثير من المشاكل بين تلك الأُسر، وكان له اثاره النفسية والاجتماعية في الاسرة النازحة.

The displacement and it's effect displacement on family Fild study on Mosul city

Lec. Dr. Ibtehal Abduljawad Kadhim Lec. Reem Ayoob Mohamed

Abstract:

Family relationships have exposed acute disturbances due to emigration ;most families that found no she lter where as others stayed in emigration camps,othersresortedto relative houses. others whene to inhabit incompletedbuilings or some undestroyed barts of government al buileings.Thosefaimlies were obliged to endure many hardships such as poverty ,absence of provder and losing some family members when there is no complete security. In houses,where more than one family exists caused many problems among those families and reflected on the emigrated family members in general.

* مدرس، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة الموصل.

** مدرس، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة الموصل

المقدمة

عندما نتحدث عن مدينة الموصل فنحن نتحدث عن مدينة الانبياء عن مدينة تضرب في القِدم جذورها التاريخية، تمتاز مدينة الموصل بانها محط الركبان ومنها يقصد إلى جميع البلدان، واحيائها القديمة تمتاز بضيق أزقتها وانغلاقها والتفافها حول نفسها والتصاق وحداتها من بيوت ودكاكين ومساجد وهي مدينة ضمت في حناياها مختلف الطوائف والأقليات العرقية والدينية منذ الاف السنين كنسيج واحد، يتسم مجتمعها بالمحافظة على القيم الاجتماعية والدينية والاخلاقية في التنشئة الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية المتماسكة، فهي مدينة لها طابعها الخاص فهي(ام الربيعين) و(الموصل الحدباء).تعرضت هذه المدينة إلى هجمة شرسة اضرت بكل جوانبها ابتداءً بالإنسان وكل جوانب حياته، فقد نالت هذه المدينة خراباً ودماراً لايمكن ان يُعبر عنه بالكلمات إذ اصبحت اثراً بعد نظر، ونالها من الدمار النصيب الاكبر فتحولت إلى ركام مدينة، ولعل الحديث في هذا يطول، لقد حاولت الباحثتان ان تعطيا صورة عن واقع مُعاش داخل المدينة بعد هذا الدمار الذي طال الإنسان والبنيان، وعن مشكلة ترى بانها ظهرت في مؤسسة اجتماعية تُعد هي الاهم بين مؤسسات المجتمع لكونها تمس النواة الاولى لتكوينه الا وهي الاسرة وشبكة العلاقات الاجتماعية –الاسرية التي تضم الأقارب وما نال هذه العلاقات من تغير بعد احداث ٢٠١٤ في الموصل، تضمنت الدراسة على اطارين الاول الاطار النظري وتضمن مبحثين الاول عن الجانب النظري من اهمية واهداف ومفاهيم وتساؤلات ثم مبحث عن الاسرة والتغيرات التي طرأت في وظائفها الاجتماعية والاقتصادية والنفسية، والمبحث الثاني كان للجانب الميداني وتضمن اجراءات الدراسة الميدانية وعرض وتحليل نتائج الدراسة.

المبحث الاول الجانب النظري

اولاً :الاطار النظري للدراسة

١ –مشكلة الدراسة

تعد ظاهرة النزوح من المشكلات التي تواجه المجتمعات غير المستقرة داخلياً والتي تخوض حروباً مستمرة والتي تهدداً من الأفراد وحياتهم، ومن تلك المجتمعات مانال مدينة الموصل من تهجير ادى بالكثير من اهالي المدينة إلى النزوح والهروب إلى اماكن أكثر اماناً من وجهة نظرهم بخاصة بعد بدء عمليات التحرير على مدينة الموصل للتخلص من العصابات الارهابية التي استولت على المدينة في ٢٠١٤ واذاقت اهلها الامرين، وقد واجهت الأُسر النازحة الكثير من المشاكل التي جاءت نتيجة للنزوح سواء أكانت اجتماعية أم اقتصادية ونفسية. وهنا تكمن مشكلة الدراسة في التعرف على الاثار النفسية والاجتماعية التي خلفها النزوح في الاسرة.

٢-اهمية الدراسة

يستمد بحثنا اهميته من اهمية الاسرة في المجتمع بوصفها النواة الاولى لتشكيل الفرد وصياغة شخصيته، فهي وحدة اجتماعية لايتم من خلالها حفظ النوع الإنساني كله فحسب وانما يتم من خلالها تعليم أساليب السلوك الاجتماعي السليم وتزويد الفرد بقيم وتقاليد ومعايير مجتمعه ونقلها من جيل إلى أخر، فهذه الوحدة الاجتماعية إذا ماتعرضت للخلل في وظائفها التي تؤديها بسبب ظروف قاهرة كـ (النزوح)، فهذا سينعكس على جيل بأكمله بكل مايحمله هذا الجيل من قيم ومعايير اخلاقية ومن طبيعة حياته الاجتماعية، وفي ذلك فللدراسة أهمية تطبيقية تكمن في تقديمها بعض المعالجات اللازمة حول أثار النزوح.

٣-اهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى التعرف على الاثار النفسية والاجتماعية التي تركها النزوح في الأُسر التي نزحت من ايمن الموصل إلى ايسره، ومحاولة تقديم بعص الحلول والمقترحات التي تتلائم مع نتائج الدراسة.

٤-مفاهيم الدراسة :

النازح:في اللغة من الفعل نَزَحَ، عن ينزح، نزح من مكان إلى اخر :اي انتقل إلى مكان اخر، ويقال بلد نازح يعني بلد بعيد[١].**اما النازح اصطلاحا** فهو كل فرد ترك محل اقامته اكراها أو اضطراراً من أجل الهرب من مكان اقامته الى خارج مدينته أو بلده تجنباً لاحداث العنف والعمليات العسكرية المنتهكة لحقوقهم[٢]. ولقد جاء في التقرير الصادر من الجمعية العامة للامم المتحدة في عام ١٩٩٢حول النازحين داخليا ((بانهم الاشخاص الذين يجبرون على ترك منازلهم بصورة فجائية أو غير متوقعة في اعداد كبيرة نتيجة لنزاع مسلح أو مجاعة داخلية أو انتهاكات منظمة لحقوق الإنسان أو لكارثة بشرية أو طبيعية ويكون النزوح داخل الدولة الواحدة))[٣].

النزوح اجرائيا: نقصد به انتقال الأُسر من الجانب الأيمن في مدينة الموصل إلى الجانب الأيسر منه جراء العمليات العسكرية لتحرير المدينة عام ٢٠١٦-٢٠١٧.

الاسرة : على الرغم من الاختلافات التي تطلق على لفظ الاسرة إلاّ أن العديد من العلماء يرى ان لفظ اسرة في المعنى العلمي الاجتماعي يشير إلى نظام الاسرة الزواجية[٤]،وفي ذلك فالاسرة هي الوحدة الاجتماعية الاولى التي تهدف إلى المحافظة على النوع الإنساني، وتقوم على المقتضيات التي يرتضيها العقل الجماعي والقواعد التي يقررها المجتمع[٥].

٥–**تساؤلات الدراسة:** تتضمن الدراسة الاجابة عن تساؤلات هي كالاتي

١–ماهي الاثار التي تركها النزوح على الحالة النفسية في الاسرة ؟

٢–هل أثر النزوح في حدوث مشكلات اجتماعية ؟

ثانياً :وظائف الاسرة والتغيرات التي طرأت عليها

بالنظر إلى الاطار الوظيفي للاسرة نجدها تؤدي دورا حيويا على النطاق الداخلي(أفراد الاسرة) وعلى النطاق الخارجي(المجتمع). فهي الهيكل الرئيسي في بناء المجتمع[٦]، إذ تغذي المجتمع بالاعضاء الجدد وتنقل تراثه الثقافي والاجتماعي من جيل إلى اخر، وتعد اولى مؤسسات الضبط الاجتماعي، إذ تعنى بموجب عملية التنشئة الاجتماعية بإلزام الأفراد للامتثال لمعايير المجتمع[٧]. وتقع على عاتقها تقديم الرعاية العاطفية وغرس روح الالفة والمحبة بين أفرادها[٨]. كما تنمي لدى الفرد الاتجاهات الترويحية والجمالية وما الى ذلك بما يتناسب مع طبيعتها[٩].

ومع ذلك فقد تغير دور الاسرة في المجتمع تبعا للتغيرات التي طرأت على المجتمع فالتحديث والتصنيع والتعليم ووسائل الاتصال والحروب والكوارث الطبيعية والفتن والنعرات الطائفية كل ذلك كان له دوره في التغيرات الاسرية[١٠].

ولقد تعرضت الاسرة العراقية وبحكم ما مرت به من ظروف خاصة حيث الحروب المستمرة والانهيار الامني ودخول قوات الاحتلال إلى العراق في عام ٢٠٠٣ وتدخل الدول المجاورة في الشؤون الداخلية للبلد وظهور الفتنة الطائفية بين مكونات الشعب والتي لم تكن موجودة في الاصل ولاتحدث الا في حالات نادرة هنا وهناك، تعرضت تلك الاسرة إلى تغيرات كثيرة طالت بنيتها وقيمها الاجتماعية ومعاييرها الاخلاقية التي تضبط وتوجه سلوكيات أفرادها وتنظم علاقاتهم الاجتماعية في ضوء ماهو متعارف عليه في المجتمع من سلوكيات مقبولة دينيا واخلاقيا ومن هذه التغيرات كثرة حالات الطلاق والانفصال، أو فقدان أحد الوالدين أو كلاهما نتيجة للحروب موتاً أو هجرةً قسرية ارغمته على ترك اسرته في بعض الاحيان والانتقال إلى مكان اخر.

ثالثا: النزوح واثاره

تعود مرجعية النزوح في العراق إلى الابادة الجماعية التي ارتكبها النظام السابق بحق الأفراد في عمليات الانفال عام ١٩٨٨،وسكان اهوار الجنوب عام ١٩٩٠ فادت إلى نزوح العديد من سكان هذه المناطق إلى مدن اخرى أو مغادرة البلد، كما دفعت سياسة التعريب إلى نزوح سكان منطقة كركوك من التركمان والاشوريين، وبعد الحرب الايرانية اتخذ النظام السابق اجراءات لطرد العراقيين من اصول ايرانية والذين يعرفون بالتبعية لإيران فاشر ذلك حركة نزوح واسعة لتلك الفئات،وكان لحالة تضييق التملك في بغداد دوره بنزوح العديد من العوائل الذين سكنوا بغداد بعد

تعداد ١٩٧٧ اما العمليات الارهابية بعد عام ٢٠٠٣ فلقد كانت متصدرة المشهد الخاص بالنزوح فما خلفته تلك العمليات في اطار الصراع الطائفي نشط حركة النزوح بين المدن[١١] وبعد العاشر من حزيران عام ٢٠١٤ وسيطرة الجماعات الارهابية على بعض المدن العراقية وما صاحبها من احداث كانت كفيلة لتهجير ونزوح الملايين من العراقيين إلى مناطق أكثر امنا سواء داخل العراق أو خارجه.

ويرى الباحثون أن الاثار التي تعكسها عملية انتقال الشخص وتغيير محل اقامته لأي سبب من الاسباب هي اثار سلبية في الغالب من وجهة نظر عامة وتشمل الفرد والجماعة والمجتمع،وتراكم هذه الاثار من دون حل جذري لها عن طريق استئصال الاسباب المباشرة وراء انتقال الفرد من بيئته الاصلية[١٢]، ومن هذه الاثار:

١-**الاثار النفسية:** عادة ما يعاني النازحون مشكلات مع التكيف الاجتماعي للأماكن الجديدة التي ينتقلون اليها بحكم الاختلافات بين بيئة مناطق سكناهم الاصلية وبيئة المناطق التي نزحوا اليها ونوعية السكن المتوفرة لديهم وصعوبة ممارستهم لاعمالهم التي اعتادوا أن يمارسوها وبكل حرية، ويعانون من الخوف والاضطرابات النفسية والشخصية والتي تظهر في تعاملاتهم وسلوكياتهم مع الاخرين باستخدامهم لانواع من العنف سواء الجسدي أو اللفظي ضد الاخرين، وبما انه لفقدان الإنسان للحاجات الاساسية له مثل (الامن والذات) لها دوراً فاعلا في اتخاذ قرار النزوح وترك المكان[١٣] فقدان تلك الحاجات النفسية يعطي للإنسان احساساً وشعوراً بالاحباط والياس من الحياة والرغبة في العزلة والانسحاب من المجتمع، كما انهم مُعرضون إلى ضغوط نفسية كبيرة بسبب فقدان احد أفراد الاسرة بسبب اعمال العنف خاصة احد الوالدين وفي بعض الاحيان كليهما، مما يولد لدى الفرد الشعور بالاحباط والياس نتيجة لصعوبة تكيفه مع الوضع الجديد وعدم قدرته على تحمل المسؤولية وشعوره بحالة من الارباك والتوتر، فتعارض اهداف الفرد وتناقضها وعدم قدرته على المفاضلة واختيار اي منها في الوقت المناسب كلها من الاثار التي يتركها النزوح نفسيا واجتماعيا في النازحين، كما ان الانتقال من مكان إلى اخر يحمل في طياته اختلافا في بعض جوانبه عن مكان السكن الأصلي يعطي احساسا وشعورا بعدم الانتماء والغربة عن المكان الجديد في ظل تغير المكان والجيرة والاصدقاء.

٢-**الاثار الاجتماعية:** من أهم المشاكل التي يواجهها النازحين هي صعوبة الحصول على عمل مناسب، فالأسر النازحة غالبا ما تعاني ضعفا في المورد الاقتصادي بسبب فقدان المعيل أو

عدم حصوله على عمل مناسب، وقد يحصل على عمل لكن المردود المالي غير كاف لسد احتياجات ومتطلبات اسرته، مما يجعل المرأة في موضع تحديات كبرى هي جزء من التحديات التي واجهها المجتمع والتي ضاعفت من مسؤولياتها على حساب اوضاعها الصحية والتعليمية والنفسية لكونها المعيل الوحيد لاسرتها في ضوء غياب الاب في بعض الحالات، مما يجعل الاسرة تعاني من اوضاع معيشية سيئة للغاية وفقر ينعكس على جوانب حياتها الاخرى سواء الصحية والتعليمية وحتى الاخلاقية فقد تدفع أفرادها إلى اللجوء إلى للانحراف وممارسة السرقة واعمال النصب والاحتيال وقد تضطر إلى التسول وغيرها من الاعمال التي توفر لها المال الذي تحتاجه، الامر الذي سينعكس على مدى التزام الاسرة بمعايير واخلاقيات المجتمع(١٤).

المبحث الثاني: الجانب الميداني

اولاً: اجراءات الدراسة الميدانية

١–نوع الدراسة ومنهجيتها

تعد هذه الدراسة من الدراسات الوصفية التحليلية، والمنهج المتبع فيها هو منهج دراسة الحالة.

٢–حالات الدراسة

اعتمدت الباحثتان الطريقة العرضية في اختيار حالات الدراسة ولقد تم اختيار (١٠) حالات، وقامت الباحثتان بمقابلة الزوجة في الأُسر حالات الدراسة للحديث باستفاضة عن تأثير النزوح في أسرهم.

٣–ادوات الدراسة

١–المقابلة المتعمقة: اعتمدت الباحثتان اسلوب المقابلة المتعمقة بجمع المعلومات عن حالات الدراسة وتم تصميم دليل للمقابلة تضمن اسئلة خاصة بالبيانات الأولية وأخرى للبيانات الاجتماعية.

٢–الملاحظة: اعتمدت الباحثتان أسلوب الملاحظة البسيطة في جمع المعلومات عن الأُسر النازحة إذ أفاد تصوير الناس لواقع الأُسر النازحة بأحاديثهم اليومية وطبيعة حياتهم بعد النزوح في جمع المعلومات عنهم. فالنزوح بوصفه حدثاً شديد الوطأة بطبيعته وآثاره اصبح حديثاً شائعاً يتناقله الناس بشكل عام في حواراتهم.

كما استندت الباحثتان على أسلوب الملاحظة بالمشاركة من خلال مشاركة الحالات لحياتهم اليومية كون الباحثة الاولى لديها (٢) من اخواتها نازحتان في بيت الأهل. اما الباحثة الثانية فهي احدى حالات الدراسة اضافة إلى مشاركتها أسرة اختها النازحة في بيت الأهل لأنشطتهم الحياتية.

٤-مجالات الدراسة:

١- المجال البشري: تعد الأُسر النازحة من الجانب الأيمن الى الجانب الأيسر في مدينة الموصل مجالاً بشرياً للدراسة.

٢- المجال المكاني: يتمثل بمدينة الموصل.

٣- المجال الزماني: امتدت فترة الدراسة من ٢٠١٨/٢/١ إلى ٢٠١٨/٣/٢٠.

ثانياً: تحليل نتائج الدراسة

١) البيانات الأولية

البيانات الاولية / رقم الحالة	العمر	المستوى التعليمي	المهنة	المنطقة السكنية الاصلية	المنطقة السكنية الحالية	نوع السكن		ملكية السكن		مستوى الدخل
						مستقل	مع الأهل أو الأقارب	ملك	ايجار	
(٣)	٣٨	ماجستير	موظفة	حاوي الكنيسة	الشرطة	–			–	جيد
(٤)	٤٥	ابتدائية	ربة بيت	المكاوي	الدركزلية	–			–	ضعيف
(٥)	٣٩	ابتدائية	ربة بيت	المكاوي	القادسية الثانية	–			–	ضعيف
(٦)	٥٦	اعدادية	متقاعدة	العامل	الشرطة	–			–	متوسط
(٧)	٥٦	متوسطة	ربة بيت	الثورة	الثقافة	–			–	ضعيف
(٨)	٤٢	متوسطة	ربة بيت	الزنجيلي	المهندسين	–			–	ضعيف
(٩)	٦٥	اعدادية	متقاعدة	الفاروق	الشرطة	–			–	متوسط
(١٠)	٣٠	جامعة	ربة بيت	راس الكور	دركزلية	–			–	ضعيف
(١١)	٢١	جامعة	طالبة	الفاروق	الانتصار		بيت الاخت		–	متوسط
(١٢)	٥٦	ابتدائية	ربة بيت	باب جديد	الحدباء		مع الأهل		–	متوسط

٢-البيانات الاجتماعية

١-طبيعة النزوح

أ-**مدة الحصار**: اجابت الحالة رقم (١) بأنهم بقوا محاصرين لمدة أربعة أشهر حتى تحرير منطقتهم وعندها نزحوا إلى بيت الأهل والذين يسكنون في الجانب الأيسر، في حين ذكرت الحالة

رقم (٢) و (٣) بأن حصارهم استغرق سبعة أشهر، اما الحالة (٤) و (٥) فقد كان حصارهم ثلاثة أشهر، واستمرت الحالة (٧و٨) بحصار لمدة خمسة أشهر، كما استغرقت فترة الحصار للحالة (٩) ستة أشهر، في حين كان حصار الحالة(١٠) خمسة أشهر.

ب–النزوح إلى مناطق اخرى قبل التحرير:

اوضحت الحالة رقم (١) انهم نزحوا إلى منطقة أخرى قبل التحرير في حين اجابت الحالة رقم (٣) انهم نزحوا إلى منطقة أخرى كونها أكثر أمناً من منطقتهم وظناً منهم أن القوات الأمنية سيصلون اليها في وقت اقرب. فقد اشارت الحالة رقم(٤)إلى انه بعد ان تم قصف منزلهم واصابة بعض أفراد الاسرة بجروح مختلفة فانهم نزحوا إلى منزل اخر واستخدمهم عصابات داعش كدروع بشرية (رهائن) لديهم وبقوا لمدة ٥٣ يوما، ولكنهم بعد ان سمعوا بقرب القوات الامنية من منطقتهم التي يحتجزون فيها قرروا الهرب باتجاه القوات الامنية ونجحوا في ذلك ولكنهم اصيبوا بجروح واصابات خطيرة ونقلتهم القوات الامنية إلى المستشفى.

ج–مدة البقاء مع الأهل بعد التحرير: بينت الحالة رقم (١) و (٢) أنها نزحت إلى بيت الأهل بعد التحرير وسكنت معهم مدة(٨)أشهر، واوضحت الحالة رقم (٣) انها سكنت مع الأهل لمدة (٥) أشهر، اما الحالة رقم (٤) فقد بقت لمدة(٣)اشهر في حين سكنت الحالة رقم (٥)مدة (٤٥) يوم ،وكانت مدة السكن في بيت الأقارب للحالة رقم(٦) و(٧) مدة (٣)اشهر، وبقت الحالة رقم(٨) في بيت اقاربها مدة شهر واحد، اما الحالة رقم(٩) فلا تزال ساكنة في بيت اختها، في حين حددت والدة الحالة رقم(١٠) مدة اسبوع واحد فقط لاستضافة عائلة ابنتها.

٢_ الاثار النفسية:

أ–الشعور بالحزن:

اجمعت حالات الدراسة على الشعور بالحزن نتيجة ما حدث من فقدان وخسارة للممتلكات المادية، ومنهم من خسر أحد أفراد اسرته فضلاً عن ممتلكاته المادية كما في الحالة رقم (٢) التي يشعر أفرادها بالحزن الشديد على فقدانهم الابن الاكبر نتيجة القصف الصاروخي على دارهم . واشارت إلى ان اخوه الصغير (١٢ سنة) يرسم دوماً صورة بيت مقصوف ويسجل الحادثة وفقاً لتعبيره البسيط. وذكر الطفل في الحالة رقم (٣) ويبلغ من العمر (٣) سنوات انه يشعر بالضجر والحزن ويحن دوماً إلى بيته القديم، واشارت الحالة رقم (٤)انها تشعر بالحزن الشديد ليس فقط على ابنائها بل على حال البلد ككل والى اي مدى ساءت الاوضاع فيه.

ان اقصاء الفرد من عالمه المادي (ممثلاً بالبيت– الحي– محل العمل) وعالمه البشري مجسداً بالجيران والاصدقاء الذين ابتعد عنهم بسبب النزوح أو موت احد أو كل أفراد اسرته عمل

على تهميش الكيان النفسي والاجتماعي للفرد الذي تتشكل فاعليته في بيئته البشرية والمادية. ولقد ادى ذلك إلى تفريغ الكيان النفسي والاجتماعي للفرد من مشاعره الايجابية التي تتشكل في اطار تضمين عالمه بالمعاني القيمة مجسدة بـ(أشياء وافكار وموضوعات) ،وفي خلافه تهاجمه حالة من التعسف الانفعالي جراء عدم استيعابه لفكرة الخسارة والفقدان، إذ يرتب المعاني وفقاً لأولويتها لديه وعند فقدانها يشعر بالحزن تبعاً لمستوى واهمية مافقده.

ولقد شهدت كارثة الموصل بثقل وطأتها حالة من الخصوصية في هذا السياق فما حدث من تغيير مفاجئ تناسب في مستوى هدمه مع حالة الشعور بالحزن والالم النفسي.

كما ارتبط الشعور بالحزن بعدم القدرة على مواجهة العوائق وإيجاد درجة من الاتساق بين متطلباته وامكانية اشباعها في ضوء هذه الكارثة.

ب-الاحباط:

أشارت الحالة رقم (١)و(٢) أنها تشعر بحالة من الاحباط واللامبالاة وذلك ينطبق على الزوج ايضا وبعض أفراد الاسرة، ولقد أيدت باقي الحالات هذا الشعور وان ضعف في طبيعته عن بداية فترة النزوح.

ان المشاعر السلبية في حدتها وتنوعها تختلف تبعاً لحجم الفجوة بين متطلبات الذات وامكانية تحقيقها، وفي ذلك فإن حجم الكارثة التي جردت الفرد من النطاق المكاني الخاص كمأوى، ومستوى الفقر الذي وصلت اليه مثّل صيغة للإحباط أشرّت حالة العجز وعدم الاستقرار والعوز المادي.

ان كارثة الموصل ليست بكارثة قذائف وقصف صاروخي فحسب بل ما أعقبه ذلك من قصف رمزي استهدف شعور الفرد ومعانيه فأودى بكثير من الرموز التي شكلها الفرد عبر تاريخه لتجسد معنى استمراريته وادراكه للأشياء والتكيف معها.

فالحراك المفاجئ في هبوطه اخترق الذات النفسية والاجتماعية للفرد ليصيبها بمشاعر الاحباط والعجز. إذ ان تأسيس الفرد رصيده المادي والاجتماعي استغرق فترات طويلة أفضت في تدرجها إلى الاحساس بدرجة من الضمان والأمان أطاحته تلك الكارثة في حجمها لتعيد الفرد إلى نقطة البداية وتعزيز الشعور بالاحباط.

ج-الحساسية المفرطة:

أجابت جميع حالات الدراسة بأن انتقالهم للعيش مع آخرين، وبخاصة في بداية فترة النزوح جعلهم يشعرون بالضيق والحساسية الانفعالية المفرطة.

ان شعور الفرد بأنه قد أقتحم النطاق المكاني للآخرين (السكن معهم) ولدّ الكثير من الضغوطات النفسية لديه ،وجعله ينظم مقياساً فاحصاً لمدى قبوله منهم، وفي ذلك اصبحت الايحاءات وتأويل الرسائل التي يبثها الآخر ذات اهمية بالنسبة له. فما يقوله ويفعله الاخر عمداً أو بغير عمد جعله يحظى باهتمامه خشية عدم قبوله منه.

د–**الشعور بالقلق والخوف من المستقبل:**

اتفقت الحالات على الشعور بالقلق والخوف من المستقبل جراء الظروف الصعبة التي مروا بها، على انفسهم وابنائهم الذين كما يقولون نجوا بأعجوبة من الموت ليجدوا انفسهم في واقع مجهول المستقبل.

وفي ذلك نجد ان الفرد عامة يعيش حالة من القلق والخوف من المستقبل حيث يرسم صورة سوداوية تجسد رؤية عالمه الخاص، إذ يطبعها بما لا يرغب رؤيته وحدوثه في واقعه اليومي، وتخفت ملامحها وتمثيلها الافتراضي كلما وجد الفرد ضمانات معينة تؤشر حالة من التوازن والاستقرار تشوش تلك الصورة.

ان مستوى تمثيل تلك الصورة السوداوية في النشاط التخيلي للفرد يتزايد. بضآلة الضمانات التي يبتغيها الفرد والتي تحد من تلك الصورة.

وفي اطار حالات الدراسة نجد أن حجم الدمار الذي حّل بمدينة الموصل وأطاح بالممتلكات الخاصة ضيق من مساحة الضمانات والتي وأن وجدت بكثافة فأن انهيارها المفاجئ كما حدث في كارثة الموصل فرض حالة من القلق الدائم.

ان حجم الدمار والخراب الذي حل بالمدينة والجانب الأيمن على وجه الخصوص وتحديداً في المنطقة القديمة منها أزاح قيمة الضمان من الخريطة الذهنية للفرد وعمل على تسخير طاقة القلق لديه.

من كل ذلك يتبين الاجابة على تساؤلات الدراسة حول التأثيرات النفسية للنزوح على الاسرة.

١ـ الاثار الاجتماعية.

أ–ضعف العلاقات الاجتماعية

بينت الحالة رقم (١) ان علاقاتها الاجتماعية مع الأقارب قد ضعفت عما كانت عليه قبل النزوح، وذكرت ان الموضوعات التي يتحدثون بها لا تروق لها فكأنهم في عالم مختلف عن عالمها ولهذا تقول (افضل العزلة والابتعاد عنهم اثناء زيارتهم إلى بيت الأهل).

وهذا ما أوضحته باقي الحالات، في حين اشارت الحالة رقم (٣و٧) انها مثقلة التفكير بأحوالها، وذلك أبعدها عن الأقارب في حين ان علاقتها بأخواتها قد زادت عند نزوحها إلى الجانب

الأيسر من المدينة والسكن بقربهن. كذلك الحال بالنسبة للحالات (٤و٥) حيث اجابتا بأن علاقاتهما بأقاربهم اصبحت تشوبها بعض المشكلات وتتسم بالضعف عما كانت عليه سابقاً.

ان ما افرزته كارثة الموصل من دمار شامل افضى إلى درجة من الهدم في طبيعة العملية التفاعلية، فشعور النازح بفقدانه بيته وممتلكاته طبع كيانه النفسي والاجتماعي بحالة عدم التآلف في تفاعلاته الاجتماعية مع الآخرين.

إذ ان نشاط العملية التفاعلية وكفاءتها يكمن في تفاعل الرسائل التي يبثها الفرد للآخر فتكون دافعاً لتشكيل صورة العلاقات الاجتماعية. وما أحدثته كارثة الموصل من ضغوطات نفسية يعاينها الفرد النازح أفضى إلى قوقعة تفاعلية تقتصر في نشاطها على تفاعل الفرد مع ذاته ومع بعض المقربين.

كما ان التشتت المكاني بين سكان منطقة واحدة جراء النزوح عمل على تفتيت نسيج العلاقة الاجتماعية مع الجيران والاصدقاء في المنطقة الواحدة، وبخاصة في المنطقة القديمة التي تعرف بالترابط والألفة بين الجيران، وهذا ما اشارت اليه بعض الحالات من الذكور والاناث كما في الحالة رقم (٢) و (٣) الذين كانت تربطهم بجيرانهم علاقات متينة.

ب-المشكلات الاجتماعية

اوضحت الحالة رقم (١و٦) إلى ان سكنها في بيت الأهل تسبب لها في حدوث مشكلات مختلفة مع زوجات الاخوة، واكدت هذه الحالة رقم (٢)، وبينت الحالة رقم (٣) بأن النزوح إلى الجانب الأيسر من المدينة والسكن المشترك مع عوائل مختلفة أثار الكثير من المشكلات، إلاّ أن اغلب مشكلاتها كانت مع الزوج. إذ ان حالة العوز المادي، وفقدان الزوج لمهنته التي كانت قرب سكنهم في الجانب الأيمن للمدينة كان عاملاً لنشوء الخلافات والمشكلات. واتفقت جميع الحالات على وقوع مشكلات متنوعة جراء النزوح.

ان الزخم الانفعالي ينعكس في مساره السلبي على العملية التفاعلية، فيحدث الكثير من المشكلات التي تطبع العلاقة الاجتماعية بطابع النفور والانسحاب وما إلى ذلك من الاتجاهات المتضادة.

ان لكل كارثة مشكلاتها التي تميزها مستوى ضخامتها، وطبيعة البيئة الثقافية والاجتماعية التي وقعت فيها، وفي ذلك نجد ان العيش المشترك (عوائل متعددة)، ومشاركتهم لنطاق مكاني واحد أفضى إلى العديد من المشكلات.

وفي جانب متصل فأن انهيار النطاق المكاني للفرد لتأخذ صورته شكلاً (مهجوراً أو مقصوفاً) ولدّ عصفاً نفسياً يأخذ في أحد ملامحه صيغة خلافات ومشكلات اجتماعية، إذ لم يعد بمقدور الفرد تحمل تلك الضغوطات النفسية جراء النزوح، وايواء الجسد ضيفاً على الأهل أو الأقارب، أو استئجار مكان في ضوء الضغوطات المالية التي تمر بها الاسرة، وحالة البطالة لرب الاسرة أو عدم الرضا عن فرصة العمل ان وجدت كل ذلك كان المناخ الملائم لنشوء مشكلات متنوعة مع الزوج /الابناء/ بين الأُسر في البيت المشترك.

ومن كل ذلك تمت الاجابة على تساؤلات الدراسة الخاصة باثار النزوح في حدوث مشكلات اجتماعية.

ج –مدى التضامن مع النازحين:

اشارت معظم الحالات إلى القول بأن (الشخص لايمكن أن تعرفه إلا إذا جربته في وقت الضيق والشدة)، وهذا ما كشفته الازمة التي مرت بها تلك الحالات فهي تؤكد على عدم وجود تضامن بالمستوى المطلوب من قبل الاخرين الا بنسب قليلة.

فلقد اكدت الحالة رقم (١و ٤و ٦) بانها باتت تعرف الاشخاص كما لم تعرفهم من قبل، في حين بينت حالات اخرى ان الأهل تضامنوا معهم وكانوا يخففون عنهم بالقول بانها "شدة وتنقضي"، اما الحالات (٥و ٧و ٨و ١٠) فقد اكدت على ان التضامن لم يكن بمستوى ماتعرضت له من شدة ومصاعب.

د –اثار النزوح في أفراد الاسرة: تبدو التأثيرات التي خلفها النزوح واضحة المعالم في احاديث الناس من كلا الجانبين الأيمن والأيسر، وكل يروي ما يتناقله الناس في هذا المجال.وفي ذلك فأن حالات الدراسة اشارت إلى ان النزوح اثر في كل أفراد الاسرة من الاطفال والنساء والكبار.

المبحث الثالث: خاتمة الدراسة

اولاً: نتائج الدراسة

اتضح من نتائج الدراسة ان للنزوح اثاره في الاسرة ومنها ما هي نفسية كالقلق والشعور بالحزن والاحباط والحساسية الانفعالية المفرطة. واخرى اجتماعية أشرت حالة الضعف في العلاقات الاجتماعية، كما بينت طبيعة المشكلات الاجتماعية في الأُسر النازحة، وتبين ان النزوح ترك آثاره على الاطفال والنساء والكبار وان اختلفت طبيعة التأثيرات.

ثانياً: التوصيات والمقترحات

١-تنفيذ قرار التعويضات وصرف مستحقات المتضررين من النازحين.

٢-تشكيل فرق عمل تعنى بالوقوف على مشكلات الأُسر النازحة والتخفيف من معاناتها.

٣-تسهيل الاجراءات الخاصة بضمان حقوق الشهداء والمعاقين بعد أحدث ٢٠١٤.

٤-توجيه الاعلام لتسليط الضوء على الأُسر النازحة والتعرف على مشكلاتهم.

٥+اجراء دراسات مستفيضة عن مدينة الموصل القديمة نظراً لما وقع فيها من دمار شديد.

الهوامش:

(١) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، لبنان، المجلد١١، ١٩٩٤، ص١١٠-١١٧.

(٢) ريتشارد بير تشود واخرون، معجم الهجرة، المنظمة الدولية للهجرة، مكتب القاهرة للمهام الاقليمية، مصر، ٢٠٠٤، ص٩٧.

(٣) اسامة صبري محمد، حماية النازحين داخليا في النزاعات المسلحة، مجلة القادسية للقانون والعلوم السياسية، العراق، عدد ١-٢، ٢٠١٠، ص١٩٧.

(٤) عبد الهادي الجوهري، اسس علم الاجتماع،ط١٠،المكتبة الجامعية،الاسكندرية،٢٠٠٢،ص٢٣٦

(٥) احمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان للنشر، القاهرة، ١٩٨٢، ص١٥٢.

(6) open stax college‘ I ntrduction to sociology , Rice University ,Texas , 2013 ,p 317

(٧) امال عبد المجيد واخرون، علم الاجتماع القانوني والضبط الاجتماعي، دار الميسرة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٠، ص٢٤.

(٨) معن خليل عمر، علم اجتماع الاسرة، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٤، ص٢٠.

(٩) جودت بني جابر، علم النفس الاجتماعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٤، ص ١٠٦.

(١٠) احسان محمد الحسن، علم اجتماع العائلة، ط٢، دار وائل للنشر، عمان،٢٠٠٩، ص٢٦٢.

(١١) اسامة صبري محمد، مصدر سابق،ص٢٣٨- ٢٤٠

(١٢) غزوان ناظم محمد، التكيف الثقافي للنازحين العراقيين في تركيا، دراسة ميدانية في مدينة انطاليا، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الاداب، قسم علم الاجتماع، ٢٠١٧، ص ٧٢.

(١٣) المصدر نفسه، ص٤٠ .

(١٤) عدنان ياسين مصطفى، التنمية الاجتماعية في العراق :المسارات والافاق مع التركيز على شبكات الامان الاجتماعي، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، السنة السادسة، العدد٢٩٥، سنة ٢٠٠٣، ص٧٥.

المصادر العربية

١. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، لبنان، المجلد١١، ١٩٩٤.

٢. إحسان محمد الحسن، علم اجتماع العائلة، ط٢، دار وائل للنشر، عمان،٢٠٠٩ .

٣. احمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان للنشر، القاهرة، ١٩٨٢.

٤. أُسامة صبري محمد، حماية النازحين داخليا في النزاعات المسلحة، مجلة القادسية للقانون والعلوم السياسية، العراق، عدد ١–٢، ٢٠١٠.

٥. أمال عبد المجيد واخرون، علم الاجتماع القانوني والضبط الاجتماعي، دار الميسرة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٠.

٦. جودت بني جابر، علم النفس الاجتماعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٤.

٧. ريتشارد بير تشود واخرون، معجم الهجرة، المنظمة الدولية للهجرة، مكتب القاهرة للمهام الاقليمية، مصر، ٢٠٠٤.

٨. عدنان ياسين مصطفى، التنمية الاجتماعية في العراق :المسارات والافاق مع التركيز على شبكات الامان الاجتماعي، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، السنة السادسة، العدد٢٩٥، سنة ٢٠٠٣،.

٩. غزوان ناظم محمد، التكيف الثقافي للنازحين العراقيين في تركيا، دراسة ميدانية في مدينة انطاليا، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الاداب، قسم علم الاجتماع،

١٠ معن خليل عمر، علم اجتماع الاسرة، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٤.

المصادر الاجنبية

1.open stax college‘ I ntrduction to sociology , Rice University ,Texas ,2013